إسهامات العلماء في علم الجغرافية في القرنين الثالث والرابع الهجريين

نعمة شهاب جمعة
كلية التربية . ابن رشد

ملخص البحث

قد تناولتُ في بحثي هذا أهم المجالات أو الفروع الخاصة بعلم الجغرافية التي درسها الجغرافيون في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وأود أن أشير إلى ثلاث ملاحظات مهمة تعليقاً على ما سبق :

أولاً: كانت اتجاهات التأليف الجغرافي في القرنين المذكورين لدى الجغرافيين تخضع لاتجاهات منها :

أ- العناية الشديدة بأقطار العالم الإسلامي من حيث وصْفها إقليمياً وخاصة أقطار الوطن العربي . والاقتصار على ذلك . على نحوِ ما فعل البلخي والاصطخري وابن حوقل .

ب-التوسع في الوصف الجغرافي ليشمل الأقطار المجاورة ، على نحو ما فعل اليعقوبي ، وابن خرداذبة ، والمسعودي .

جـ - التخصص في قُطر أو إقليم واحد ، كما هو الحال عند اللغويين الذين قصروا كتبهم على وصف جزيرة العرب أو مناطق منها ، كما فعل الهمداني ، وابن فضلان ، والبيروني .

ثانياً: إنَّ الصفة الموسوعية التي اتصف بها العلم والعلماء في القرنين "مدة الدراسة" جعلت الحدود بين العلوم من الضعف بحيث يمكن بسهولة أن ينساح بعضها على بعض ، وقد كانت هذه السمة واضحة في كتب الجغرافيا .

ثالثاً: اتبع الجغرافيون المسلمون المنهج التجريبي في البحث والتنقيب وصولاً إلى المعلومات الجغرافية السليمة على أساس علمي يعتمد على الملاحظة والمشاهدة واستخلاص النتائج في صور حقائق علمية جديدة .

ونودُّ أن نشير أن الأندلسيين أفادوا من المناهج والكتب الجغرافية المشرقية ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . وقد برعوا في هذا الميدان . وقدّموا أرقى الدراسات عن جغرافية الأندلس والمغرب بوجهٍ خاص ، وحققوا خصوصيتهم في هذا الباب ، وسبقوا المشارقة في بعض الفنون الجغرافية .

إسهامات العلماء في علم الجغرافية

في القرنين الثالث والرابع الهجريين

يُعدُّ لفظ " جغرافيا " من الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية : فهي كلمة يونانية، ومعناها " صورة الأرض " أو " رسم الأرض " ويعرف هذا العلم عند العرب "بتقويم البلدان "[1] ، ويقوم على الرحلات إلى الأقطار والبلدان المختلفة ودراسة تضاريسها ووديانها وأنهارها وخلجانها وحدودها وجبالها وسهولها ، ومشاهدة عادات سكانها ومعتقداتهم وثرواتهم ومواصلاتهم ، والتعرّف على مناخ تلك البلاد ومواقع مدنها الكبرى وأهميتها من مختلف النواحي الاقتصادية والصناعية ، ثم تدوين ذلك كله بعد تحليله على أساس علمي سليم [2] .

والمسلمون بحكم فتوحاتهم ولعوامل تتصل بالتجارة وطلب العلم والحج وجهوا الكثير من عنايتهم لعلم الجغرافيا ، واتصلوا بالعالم الخارجي ، وظهر فيهم جغرافيون عالميون وصفوا من المؤلفات ما زاد في ثروة البشر العلمية زيادات أدت إلى تقدم الجغرافيا خطوات فاصلات [3] .

جهود العلماء في الدراسات الجغرافية:

إنَّ أقدم ما دوّنهُ المسلمون مما له علاقة بمسائل الجغرافيا تلك الكتب التي صنفها اللغويون ، بهدف لغوي وبمنهج لغوي ، حيث عنوا بتحديد البقاع والبلدان الكثيرة الواردة في أدب الجاهليين والإسلاميين وأحاديث الرسول وآي القرآن الكريم، وعالجوها معالجة لغوية أدبية ، وتكادُ تنحصر هذه المؤلفات في وصف جزيرة العرب

وما فيها من أعلام جغرافية ، بحيث يمكن أن نسمى ما كتبوه بالجغرافيا الخاصة [4] .

ولعلَّ أقدم من يعرف له كتاب في ذلك من طائفة اللغويين ، خلف بن حيان الأحمر الكوفي (ت 180هـ) ،له كتاب (جبال العرب وما قيل فيها من الشعر) [5]، وأبو الوزير عمر بن مطرف (المتوفى في عهد الرشيد) ، له كتاب (منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم وإلى أين انتقل منها) [6] . وصنف النضر ابن شميل التميمي البصري (المتوفى 203هـ) ، كتاب (الجبال)[7] . وصنف أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (المتوفى 208هـ) ، كتاب (الحراث) [8] ، وكتاب (مكة والحرم)[9] . وللأصمعي عبد الملك بن قريب البصري (المتوفى 216هـ) من الكتب (مياه العرب) و(جزيرة العرب) [10] ، والكتاب الأخير كثيراً ما ينقل عنه ياقوت الحموي في (معجم البلدان) [11] . وصنف أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري البغدادي (المتوفى 275هـ) كتاب (المناهل والقرى)[12] . وصنف أبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بـ لغدة (المتوفى 282هـ) صنف كتاب (بلاد العرب) أو(جزيرة العرب) [13] وعوّل فيه على المشاهدة والعيان ، لا على مجرد الرواية أو النقل من الكتب ، وعنى بذكر الثروة المعدنية في كل الجزيرة العربية عناية تفوق من وصفها من الجغرافيين البلدانيين كالهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) [14] . هذه بعض المصنفات الجغرافية التي عنيت بوصف جزيرة العرب ، وهي كتب لغوية قصد فيها مؤلفوها جمع المادة اللغوية ، ويلاحظ أن مؤلفيها من علماء اللغة العراقيين ومن أهل القرن الثالث الهجري ، وبعد هذا القرن لم تنقطع الصلة بين اللغة والجغرافيا ، وإنما استمر اللغويون والمتأدبون من أهل القرن الرابع في تأليف الكتب من هذا النوع [15] . ومنهم هشام الكلبي (ت 206هـ)، الذي اتصف باتساع الأُفق ، وقد وضع ملخصات لغوية عن جزيرة العرب ، فقد كتب في موضوعات جغرافية عامة تتجاوز نطاق الجزيرة العربية ، ومن مؤلفاته التي تتعلق بجزيرة العرب على نمط اللغويين مثل " كتاب تسمية من بالحجاز من أحياء العرب " وأُخرى تعالج موضوعاً أوسع من ذلك ، قلّد به كتاب " الأقاليم " وكتاب " البلدان الصغير " ،

وكتاب " البلدان الكبير " وكتاب " العجائب السبعة " [16]، والذي يؤكد ما ذهبنا إليه تلك الاقتباسات التي ينقلها عنه ياقوت الحموي مشيراً في العادة لابن الكلبي إلى كتاب " أنساب البلدان " ، والمقصود به في أغلب الظن كتاب " اشتقاق البلدان " الذي ينسبه ياقوت إلى ابن الكلبي في مقدمة "معجم البلدان" [17]. وهذه الاقتباسات تمس بعض المدن خارج جزيرة العرب ، مثل الكوفة والرها والمغرم (قرب بغداد) والنهروان [18] .

وتقدم لنا مؤلفات أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري البغدادي (ت 255هـ) والبالغ عددها أكثر من (360) كتاباً ورسالة ، مادة جغرافية ضخمة، خاصة في كتابه " الحيوان " الذي يحفل بكثير من المعلومات في الجغرافية الحيوانية والإثنوجرافيا [19] . على الرغم من غلبة الموضوعات الأدبية عليه ، وللجاحظ كتاب آخر في صفات ومحاسن الحواضر الكبرى ، يدور الكلام فيه عن مواطنيها أكثر مما يدور عن البلاد نفسها ، ويتحدث فيه عن البصرة والكوفة وبغداد ودمشق ومصر والفسطاط والري ونيسابور وبلخ وسمرقند . وهذا الكتاب يطلق عليه المسعودي اسم " الأمصار وعجائب البلدان " [20] . ويسميه ياقوت " كتاب البلدان" [21]. وأشار إليه الثعالبي باسم " خصائص البلدان " [22] ، ونشره الأستاذ عبد السلام هارون في مجموعة رسائل الجاحظ باسم " الأمصار " أو " الأوطان والبلدان " [23] . وقد كان لهذا الكتاب تأثير مباشر على الجغرافيين اللاحقين ، فنقلوا عنه كابن حوقل في كتابه " صورة الأرض " وابن الفقيه في كتابه " تقويم البلدان " والمسعودي في " مروج الذهب " وهذا الأخير قال عنه " كتاب في نهاية الحسن ، وإن كان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ، ولا تقرا الممالك والأمصار"[24].

وصنف الجاحظ كتاباً آخر يدلُّ على اهتمامه الواسع بالجغرافيا ، ويمثل على وجه العموم أهمية كبرى بالنسبة للتاريخ الحضاري للعالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري ، كما يمكن اعتباره أول محاولة في الجغرافية الاقتصادية وهو كتاب "التبصر بالتجارة" [25] . وينقسم إلى بضعة أبواب تعالج السلع التجارية المختلفة وأسعارها ومزاياها . ومن أحسن أبوابه (باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع

والأمتعة والجواري والأحجار وغير ذلك) ، ويرد فيه ذكر للبلاد الشمالية كخوارزم وبلاد الخزر والبلغار ، ويذكر " محقق الكتاب " من خلال المقارنات التي أجراها أن ابن الفقيه في كتابه " تقويم البلدان " مدين بقدر غير قليل لرسالة الجاحظ هذه [26] .

لم يبقَ الميدان في التأليف الجغرافي خالياً للغويين وحدهم ، وإنما وجد معهم جماعات لا يمتون إليهم بصلة عنوا بوصف البقاع والبلدان التي ربما لم يسمع عنها اللغويون ، وتناولوها تناولاً مختلفاً اختلافاً كبيراً في الهدف والمنهج ، فما كانوا ليعنوا بدراسة اللغة العربية ، وإنما اتخذوا تحديد البقاع والبلدان علماً قائماً بذاته ، وأطلعوا على كتب أهل الحضارات الأجنبية القديمة التي تسمّى ذلك البحث باسم " الجغرافية " وأفادوا منها . وتُعدُّ كتبهم من مصنفات الجغرافية الوصفية التي تعنى بوصف أقاليم العالم الإسلامي والممالك والأصقاع المتاخمة له ، ووصف الطرق الكبرى التي تربط هذه الأقاليم بعضها ببعض ، وبيان أحوال المدن الطبيعية والبشرية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية ، " وهذه الكتب تعادل في أيامنا هذه ما يعرف بالجغرافية الإقليمية إلى حدٍ كبير ، لأنها تبحث في الجغرافيا الطبيعية والبشرية وما يتصل بهما من منظور إقليمي ، وهذا المنهج يمثل الجغرافية في صورتها الحقيقية " [27] .

وقد أشار ياقوت الحموي في مقدمة " معجم البلدان " إلى وجود هذين الفريقين . الجغرافيين البلدانيين واللغويين . المغايرة بينهما حين قال : " صنف المتقدمون في أسماء الأماكن كتباً ، وبهم اقتدينا منها ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلاد المسكونة المشهورة ، ومنها ما قصد به ذكر البوادي والقفار ، واقتصر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار . فأما من قصد ذكر العمران فجماعة وافرة ، منهم من القدماء والفلاسفة والحكماء : أفلاطون وفيثاغورس وبطليموس وغيرهم كثير من هذه الطبقة ، وسموا كتبهم في ذلك جغرافياً ... وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التي ذكرت فيها ، وأُبهم علينا أمرها وعدمت لتطاول الزمان فلا تعرف . وطبقة أخرى إسلاميون سلكوا قريباً من طريقة أولئك من ذكر البلاد والممالك ، وعينوا مسافة الطرق والمسالك وهم : ابن خرداذبة، وأحمد بن

واضح اليعقوبي ، والجيهاني ، وابن الفقيه ، وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب وهم أبو سعيد الأصمعي..." [28] .

وفيما يلي عرض موجز لأبرز الجغرافيين ومؤلفاتهم في الجغرافيا الوصفية " كتب المسالك والممالك . البلدان " [29] :

وأول من صنف كتاباً في " المسالك والممالك " . كما يقول ابن النديم وينقل عنه ياقوت الحموي . هو أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي وكتابه لم يتم ، وقد توفى بالأهواز ، وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحراني سنة 274هـ[30]. وصنف أحمد بن الطيب السرخسي المعروف بالفرائقي كتاب " المسالك والممالك " ذكره ابن النديم والمسعودي وقال : " صنف السرخسي كتاباً حسناً في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها " [31] . وذكر ياقوت الحموي أنه كان نديماً للخليفة العباسي المعتضد بالله (279–295هـ) وتولى له الحسبة والمواريث وسوق الرقيق في بغداد سنة 282هـ ، وقتله الخليفة متهماً إيّاه بالإلحاد. وكان عالماً بالفلسفة وتلميذاً للكندي الفيلسوف المشهور (ت 260هـ) [32] الذي خلف هو الآخر مؤلفاً جغرافياً عنوانه " رسم المعمور من الأرض "[33] .

ابن خرداذبة (المتوفى حوالي 280هـ) :

يُعدُّ كتاب " المسالك والممالك " لأبي قاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة أول مؤلف كامل يصلنا في الجغرافية الوصفية ، وابن خرداذبة كان فارسي الأصل ، وقدم بغداد وأسلم على يد البرامكة ، واتصل بالموسيقي الشهير إسحق الموصلي ، فجمع بين الموسيقى والأدب ، ونادم الخليفة العباسي المعتضد (256–279هـ) وعين عاملاً على البريد يختص بالإشراف على شؤونه في إقليم الجبال [34] .

ولم يتبع ابن خرداذبة في تأليف كتابه نظاماً دقيقاً ، وربما بدا لنا هذا لأنَّ الكتاب لم يصلنا إلاّ مختصراً . ولم يقتصر فيه على العالم العربي وطرق التجارة الرئيسة فيه ، وإنما تحدث . إلى جانب ذلك . عن جهات قاصية عن هذا العالم كالصين واليابان ، غير أنه كان يخلط في مواضع عدة بين الحقيقة والشائعات . وقد

كان لاهتمامه بالرحلة أن حفظ لنا مادة جيدة خاصة فيما يتعلق بوصف الطرق في عهود مبكرة . وتُعدُّ المادة التي جمعها في الكتاب بمثابة الأساس المتين بالنسبة لكثيرين من بعده ، وكان تأثيره على الجغرافيين اللاحقين كبيراً (35) .

اليعقوبي (المتوفى 284هـ) :

المؤرخ والجغرافي الكبير أحمد بن إسحق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي البغدادي مولى بني هاشم (36) وكتابه من قبيل كتاب ابن خرداذبة " البلدان " أو " أسماء البلدان " ، ويطلق عليه أيضاً اسم " المسالك والممالك" (37) .

على الرغم من أن اليعقوبي بغدادي الأصل فإنهُ أمضى معظم حياته في مصر والمغرب وقام برحلات طويلة في أرمينية وإيران والهند ومصر والشام وبلاد المغرب ، " وكان في رحلاته مغرماً بالبحث والتمحيص ، معتمداً دقة الملاحظة من أجل جمع المعلومات والبيانات التفصيلية عن بنية كل منطقة و مدينة أو إقليم أو ظاهرة ، مما يؤكد وصفه بحق أول البلدانيين الذين جعلوا الرحلة وسيلة أساسية لإثراء المعرفة ... وقد وظف ما يملكه من معارف وخبرات ومشاهدات لتسجيل البيانات الوافية والدقيقة عن البلدان التي زارها ، مازجاً بين الجغرافيا والتاريخ الحضاري في أكثر من حال ، معتبراً الجغرافيا إطاراً مكانياً ووعاءً للتاريخ بأبعاده المختلفة " (38) .

يتميز كتاب " البلدان " لليعقوبي بمعلومات دقيقة ومتعددة ، وتتناثر فيه محاولات بذلت لتقرير حقائق الجغرافيا الطبيعية وإيضاح الجغرافيا البشرية ، فضلاً عن الجغرافيا الإقليمية والجغرافيا الاقتصادية ، وتتجلى فيه عناية خاصة بالنواحي الإحصائية ، وفي كل ذلك تفرد بتقديم معلومات جديدة لم يتطرق إليها من سبقه ، " ويمثل وصفه للخطط التاريخية لبغداد وسامراء أهمية منقطعة النظير " كما يقول كراتشكوفسكي (39) ، وهذا يعني أن اليعقوبي كان يهتم بوصف المدن وخططها أكثر

من اهتمامه بالمسالك والطرق كما عند ابن خرداذبة [40] . ويتميز الكتاب بجوانب عديدة جيدة عرض لها بعض الباحثين في مجال تاريخ الجغرافيا عند المسلمين[41].

ابن الفقيه الهمداني (كان حياً 290هـ) :

في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي نلتقي بكتاب جامع على منهج مؤلفات الجاحظ ، وهو كتاب " البلدان " لأحمد بن الفقيه الهمداني ، أصله من همدان إحدى مدن فارس ، وتألق نجمه ببغداد في عهد الخليفة المعتضد (279-289هـ) ومؤلفه الجغرافي كبير الحجم ، يقع نحو ألف ورقة كما يقول ابن النديم [42] . ووصل إلينا مختصره الذي عمله على ابن جعفر الشيرازي عام 413هـ ، وهذا الكتاب . إذا حكمنا عليه من مختصره . ليس مصنفاً جغرافياً بالمعنى الدقيق للكلمة ، بل مجموعة أدبية عن بلاد العالم الإسلامي تزخر بكمية كبيرة من الشعر والقصص ، وهو عبارة عن نخبة مختارة من الطرائف الأدبية لا تمس الجغرافيا أو الأسماء إلاّ من بعيد ... ولا يرقى إلى مصاف عددٍ من مؤلفات معاصريه في ميدان الجغرافيا ، إلاّ أنه من جهة نظر تاريخ الحضارة يقف أحياناً على مستوى أعلى [43] .

وقد نشطت حركة التأليف الجغرافي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وظهر عدد من الجغرافيين الكبار استطاعوا أن يضيفوا معطيات جديدة في هذا الحقل العلمي . وجمع كراتشكوفسكي في كتابه " تاريخ الأدب الجغرافي "ثلاثة من جغرافيي ذلك القرن في نسق واحد يرتبطون فيما بينهم ارتباطاً وثيقاً، وأطلق عليهم اسم " المدرسة الكلاسيكية " للجغرافيا الإسلامية ، وذكر أن من أبرز سمات هذه المدرسة " قصْر المادة الجغرافية على بلاد الإسلام مع إهمال الأقطار الواقعة خارجها ، أي أنها كانت أميل إلى تصنيف أفقها الجغرافي بعض الشيء ، كما تمتاز أيضاً برسم الخرائط للعالم الإسلامي التي تمثل أطلس الإسلام في القرن الرابع الهجري [44] ، والجغرافيون الثلاثة الذين تنتظمهم هذه المدرسة هم :

1 أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (المتوفى 322هـ/ 933م) ، وهو رأس هذه المدرسة ، ويسمى كتابه " صورة الأرض " [45] .

2 أبو إسحق إبراهيم بن محمد الاصطخري الكرخي (توفي في حدود سنة 346هـ/957م) واسم كتابه " الأقاليم " أو " المسالك والممالك " [46] .

3 أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي التاجر (توفي في حدود 367هـ/957م) . واسم كتابه " صورة الأرض " أو " المسالك والممالك"[47].

ويُعدُّ كتاب أبي زيد البلخي في جوهره عبارة عن مصورات جغرافية أضيفت إليها نصوص مختصرة ، ولم يصلنا النص الأصلي له ، ولكنه أدمج في الكتابين الجغرافيين للاصطخري وابن حوقل [48] .

واعتبر كتاب " المسالك والممالك " للاصطخري رائداً للكتب الإقليمية التي أُلّفت بعده في منهجه ومعلوماته وتبويبه ، وقد قسّم فيه بلاد المسلمين إلى عشرين إقليماً ، مبتدئاً بديار العرب كعادة الجغرافيين في تلك الفترة ، ورسم خارطة لكل من هذه الأقاليم جعلها في مطلع الحديث عنه [49] .

أما كتاب ابن حوقل . إلى جانب انه من أبرز الكتب العربية المبكرة التي تمثل ركناً مهماً من أركان الجغرافيا ، حيث يتميز بمنهجه القويم واعتبار الخارطة جزءاً لا يتجزأ من النص . إنَّ هذا الكتاب " يحفل بالعديد من الأخبار والمعلومات التاريخية التي لا نكاد نجدها لدى المؤرخين " [50] ، وقد ذكر في مقدمته أنه التقى بالاصطخري وذلك في حدود سنة 340هـ/951م وراجع له (بناءً على طلبه) كتابه وخرائطه ، فصحح مواضع منه ، وأجرى عليه تعديلات أساسية [51] .

إنَّ هذه المدرسة الإسلامية في التصنيف الجغرافي لم تظهر في بلاط العباسيين أول الأمر ، ولكنها نشأت على يد أبي زيد البلخي في المركز الثقافي الذي تغلب عليه النزعة الفارسية ، وهو المركز الذي تجمع حوله بلاط السامانيين[52] ، ثم انتقل تأثيرها إلى بغداد على يد أحمد بن حوقل البغدادي الذي اشتهر برحلاته الواسعة والتي دامت ما يقرب من ثلاثين عاماً جابَ خلالها أرجاء العالم الإسلامي متخذاً من بغداد نقطة الانطلاق في حدود سنة 331هـ/943م [53] .

وكان إلى جانب هذه المدرسة الكلاسيكية التي تقتصر على جغرافية العالم الإسلامي توجد طائفة من المؤلفين الجغرافيين من علماء القرن الرابع الهجري

أسهموا في نشر المعارف الجغرافية وتقدمها ، وتُعدُّ مصنفاتهم ذات قيمة كبيرة في هذا الميدان . ونخص اثنين منهم بالذكر نالا شهرة واسعة بفضل أوصاف الرحلات التي خلفوها ، وكلاهما من بغداد :

الأول : ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباس بن رشيد البغدادي ، وهو من طلائع الجغرافيين الرحالة ، أوفده الخليفة العباس المقتدر (295هـ/320هـ) في صفر سنة 309هـ من قبله إلى ملك البلغار بالفلجا " نهر إتيل " . حيث وصل إليه في 13 محرّم 320هـ ، وكان بلغار الفولجا " الصقالبة " أرسلوا رسولاً إلى عاصمة الخلافة يطلبون العون ضد ضغط الخزر عليهم من الجنوب ، وأن ينفذ إليهم من يفقههم في الدين ويعرفهم بشعائر الإسلام ، فأرسلت إليهم سفارة كان من أفرادها ابن فضلان كفقيه ذي خبرة ، وفي طريقة عودته إلى بغداد دون وصفه لرحلته في كتاب لعله أول مما يعوّل عليه بالنسبة لمنطقة ما كان يعلم عنها إلى ذلك الوقت إلاّ القليل ، وكان في ذلك عمدة الجغرافيين العرب مدة طويلة أمثال المسعودي وياقوت الحموي وغيرهم [54] .

ومع أن ابن فضلان لم يتحدث في رسالته عن تفاصيل مهمة ونتائجها ، إلاّ أنه ترك صورة واضحة للبلغار وحضارتهم وعاداتهم وتجاراتهم ، ويحفل كتابه بمادة أثنوجرافية قيّمة ومتنوعة وفريدة تمس عدد من القبائل التركية البدوية القاطنة في آسيا الصغرى ، وعدداً من الشعوب التي كانت تلعب آنذاك دوراً سياسياً في تاريخ أوربا الشرقية كالروس والخزر والبلغار [55] .

الثاني : المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين البغدادي المعتزلي (المتوفى 346هـ) أحد الشخصيات الكبرى ذات الجوانب المتعددة ، ليس في مجال الجغرافيا فحسب ، بل في التاريخ والسياسة والعمران ، وله في ذلك مؤلفات كثيرة حوت أخبار رحلاته الواسعة ومشاهداته وتجاربه ، وقد شملت رحلاته المتصلة جميع البلدان تقريباً في العالم القديم ، من الهند إلى المحيط الأطلسي ، ومن البحر الأحمر إلى بحر قزوين ، وتعرض خلالها الكثير من الأخطار والمغامرات ، وجمع كثيراً من المعلومات أدت إلى تطور الدراسات الجغرافية والتاريخية [56] .

وأهم كتب المسعودي التي تحتوي دراسات جغرافية عديدة ومتنوعة : كتاب "أخبار الزمان ومن إبادة الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية القائمة والممالك الدائرة ، وهو مفقود . وكتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر " ، وكتاب " التنبيه والأشراف " [57] . وهذه الكتب تقف مثالاً حياً لصعوبة الفصل بين المؤلفات التاريخية والجغرافية .

إنَّ المسعودي يقف على قمة المعارف الجغرافية لعصره ، وتميز عن كثير ممن سبقوه في ميدان الجغرافيا بالدقة والعمق ، وأول من وضع أسس المدرسة العربية في الدراسات الجغرافية ، ويضاهيه في ذلك العالِم والمؤرخ البغدادي المعروف باليعقوبي ، ونسجل هنا شهادة المستشرق . كيمبل Kimble في كتابه " الجغرافية في العصور الوسطى " إذ قال : " إنَّ عمل المسعودي كان عظيماً حيث لم يهمل أية مصدر من مصادر المعلومات ، ووصف الأصقاع الإسلامية وغيرها، بموضوعية ودون تحيز ، وقد قام بوصف زلزال عام 344هـ/955م ومياه البحر الميت ونشأة البحار ... وسلك في ذلك طريقة العالم الباحث المتجرد" [58] .

مجالات أُخرى في التأليف الجغرافي غير الجغرافية الوصفية :

لم يكن التقدم الملحوظ في مجال الجغرافيا مقصوراً على ميدان الجغرافيا الوصفية الإقليمية " التي تمثلها كتب المسالك والممالك " ، بل لقيت النواحي المختلفة من الجغرافيا اهتماماً مماثلاً ، وتعددت المجالات أو الفروع الخاصة بهذا العلم ، فشملت أيضاً الجغرافيا الفلكية والرياضية ، والجغرافيا الطبيعية وفن رسم الخرائط، وغير ذلك من الفروع ، وفيما يأتي نلقي الضوء على هذه الجوانب :

الجغرافيا الفلكية والرياضية:

وأكثر الذين عنوا بهذا المجال هم علماء الفلك والرياضيات مثل : محمد بن موسى الخوارزمي (المتوفى 317هـ) القائم على خزانة بيت الحكمة ببغداد في خلافة المأمون ، ومحمد بن جابر بن سنان المعروف بالبتاني (المتوفى 317هـ) وغيرهما .

وقد اعتمد هؤلاء العلماء في هذا الجانب في بادئ الأمر على كتب اليونان ، وخاصة كتابي " المجسطي " (رسالة في الفلك) وكتاب " الجغرافيا " ، وكلاهما لبطليموس [59] . والكتاب الأخير يمثل في جوهره جداول فلكية لعروض وأطوال النقاط الرئيسة المسكونة في العالم . وقد اهتم علماء الفلك والرياضيات بالعراق بترجمة هذين الكتابين [60] . وكانت أقدم هذه الترجمات وأحسنها تلك الترجمة التي قام بها الخوارزمي لكتاب " الجغرافيا " لبطليموس ، والتي " يمكن اعتبارها في الوقت ذاته أول رسالة أصيلة في الجغرافيا الرياضية والفلكية عند العرب ، وشاملة لجميع العالم المعروف لهم " [61] . وذلك لأنَّ الكتاب ليس بترجمة ولكنه ترتيب لمادة بطليموس على هيئة جداول ، مع إضافات واسعة من ميدان الجغرافيا العربية وطائفة من التعديلات الأُخرى [62] .

وقد وضع الخوارزمي كتاباً عن " صورة الأرض " عالج فيه بصفة أساسية أهم الموضوعات الجغرافية المتعلقة بخطوط طول وعرض الأماكن والجبال والأنهار وأسماء المدن الواقعة على الجانب المعمور من الأرض [63] . وللعالِم الفيلسوف الطبيب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي " المتوفى 320هـ " كان من تلاميذ أبي زيد البلخي ، هذا العالِم صنف في الجغرافيا الفلكية كتب عدة منها : "هيئة العالم وله تعليق على " المجسطي " لبطليموس [64] .

إنَ مجال الجغرافيا الفلكية والرياضية لا يذكر إلاّ ويذكر معه أحد أعاظم العلماء المسلمين وهو " أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني " (المتوفى 442هـ) الذي عاش تحت كنف السلطان محمود القزنوي (388–421هـ) . وهذا العالِم جمع بين أطراف الفكر الجغرافي كلها ، وتفهمها جيداً ، وتعلو منزلته في هذا المضمار فوق الجميع ، وتمثل جهوده عصر بعث علمي بالقياس إلى تطلعات أولئك الباحثين الطموحين الذين كانوا يعملون في بغداد في ظل العباسيين الأوائل [65] . ولم يكن ميدان تفوق البيروني في الجغرافيا الوصفية بقدر ما كان الجغرافيا الرياضية ، وله فيها عشر مؤلفات ، وعلم هيئة الأرض ، وكتب فيه أربعة كتب ، ثم فن رسم الخرائط وله فيه مبتكرات عديدة [66] ، ومن أهم كتبه التي تتناول معظمها المسائل

الجغرافية : كتاب " الآثار الباقية عن القرون الخالية " وكتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله " وغيرهما [67] .

الجغرافية الطبيعية :

قد تناول الجغرافيون أموراً تتعلق بعلم ظواهر الجو وعلم المحيطات وعلم وصف الطبيعة ، ومن أهم هذه الظواهر : ظاهرة المد والجزر ، والعوامل المؤثرة في المناخ وطبيعة الأقاليم المناخية وحركة الرياح ، وفصول السنة الأربعة وأوصافها وطبقات الجو ، وكيفية تكوّن الأمطار ، وطبيعة الأرض ومكوناتها ، والمياه الجوفية وغير ذلك من الدراسات .

وتتضمن الأبحاث المهمة التي كتبها الجماعة المعروفة باسم " إخوان الصفا"، وهي مجموعة رسائل تستوعب بوجه عام نطاق المعرفة القائمة في القرن الرابع الهجري على اختلاف أنواعها تتضمن هذه الأبحاث إشارات متعددة إلى المفاهيم والآراء الجغرافية السائدة في ذلك العصر ، وقدّموا شروحاً لظواهر جغرافية طبيعية عديدة ، منها كسوف الشمس وخسوف القمر ، ودورة الفصول تبعاً لحركة الشمس الظاهرية ، وقالوا بوجود غلاف جوي يحيط بالكرة الأرضية ، وعالجوا ظواهر الجو والطبقات الجوية ، كما عالجوا ظاهرة الزلازل والبراكين ، ودرسوا تركيب المعادن وتكوينها ، وبحثوا موضوع التغيرات الجيولوجية الكبرى وما تمَّ تدريجياً من عمليات التركيب الأرضي [68] .

رسم الخرائط :

لم يكن الجغرافيون الأوائل يعرفون كلمة " خريطة " بمعناها المألوف لدينا الآن ، ولم يستعملوا قديماً للدلالة على المعنى غير كلمة " الصورة " ، أو " الرسم " أو " رسم المعمورة " أو " لوح الرسم " ، وشاعت هذه التسميات في القرن الثالث والرابع الهجريين وامتد استعمالها عند العرب في أيام متأخرة في التاريخ حيث حلّت كلمة " الخريطة " أو " الخارطة " بديلها [69] .

وتُعدُّ بادرة الخليفة العباسي المأمون (ت 218هـ) أول محاولة إسلامية لرسم خارطة العالم ، حيث أمر بجمع جمهرة من العلماء كي يقوموا بوضع خارطة أطلق عليها المسعودي اسم " الصورة المأمونية " . وكان الخوارزمي واحد من العلماء الذين تعاونوا على إخراج تلك الصورة ، وقد عرفنا من قبل أنه كان قائماً على خزانة بيت الحكمة ببغداد في خلافة المأمون [70] . ويُعدُّ من أسبق من عرف أهمية الخريطة كوسيلة لتوضيح المعلومات الجغرافية ، وأضاف مجموعة من الخرائط إلى كتابه " صورة الأرض " ويمكن أن يستنتج من الجداول التي أوردها في ذلك الكتاب أن الرسم المأموني الذي هو أول صورة للمعمورة استند على ما امتحن من خطوط الطول ودوائر العرض ، وأنه بنى على الرصد والقياس بآلات من اختراع علماء الفلك المسلمين في ذلك العصر [71] .

وكان بلوغ المرحلة التالية عند ظهور ما يمكن تسميته بمدرسة أبي زيد البلخي ، حيث وضع البلخي (322هـ) أول أطلس إسلامي ، وألصقه بكتابه "صورة الأرض " أو " كتاب الأشكال " . وهذا الكتاب في جوهره مصورات جغرافية على الأرجح أضيفت إليها نصوص مختارة ، ولم يصلنا النص الأصلي ، ولكنه أدمج في الكتابين الجغرافيين لابن حوقل والاصطخري المعروف كلاهما باسم " المسالك والممالك " . ويشتمل أطلس البلخي على خريطة العالم ، وأُخرى لشبه جزيرة العرب ولبحر فارس ، وخرائط لمصر والمغرب والشام وبحر الروم ، كما يشمل أثنى عشر خريطة أُخرى للجهات الوسطى والشرقية من العالم الإسلامي [72] .

ويمثل المقدسي (ت 380هـ) في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " المراحل الأخيرة في مدرسة البلخي ، وأوضح أنه بذل جهده في إعداد خرائطه ليمثل عليها بصورة صحيحة أقاليم الدولة بعد أن درس عدداً من الرسوم ، ومنها رسوم الاصطخري التي تدنو من الحقيقة في رأي المقدسي ، وتستحق أن يعوّل عليها ، وإن كان فيها خلط وخطأ في بعض المواضع [73] . وقد استخدم المقدسي في الخرائط التي رسمها لكل قسم من الأقسام الأربعة عشر التي قسّم إليها العالم الإسلامي ، استخدم في تلك الخرائط طرقاً لتمثيل الظاهرات الجغرافية المختلفة حتى

يمكن للجميع أن يفهمها فهماً صحيحاً ، فرسم الطرق المعروفة بالحمرة ، والرمال الذهبية بالصفرة ، والبحار المالحة بالخضرة ، والأنهار بالزرقة ، والجبال المشهورة بالغبرة [74] .

وقام البيروني (ت 422هـ) ، بعمل خريطة مستديرة للعالم في كتابه "التفهيم في صناعة التنجيم " لتوضيح موضع البحار ، وكذلك في مؤلفه الآخر " الآثار الباقية من القرون الخالية " ، وله مبتكرات كثيرة في كيفية نقل صورة الأرض الكروية إلى الورق المسطح ورسم الخرائط الفلكية للسموات [75] . وقد استمرت جهود الجغرافيين المسلمين في صنع الخرائط ، وأحصى " ميللر " الخرائط التي رسمها المسلمون للعالم الإسلامي ، فوجدها مائتين وخمساً وسبعين خريطة ، باستثناء خرائط الإدريسي (ت 560هـ) التي وصفها " ميللر " بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير في تصوير الدنيا للأوربيين [76] .

إنجازات الأندلسيين في مجال الجغرافية :

ظهر علم الجغرافية في الأندلس مع علم التاريخ في آن واحد . فكما كان هشام بن محمد السائب الكلبي (ت 204هـ) ، وأبو حنيفة الدينوري (ت 282هـ) ، واليعقوبي (ت 284هـ) ، من رواد علم التاريخ وفي الوقت نفسه كانوا رواداً لعلم الجغرافيا ، وأثرت عنهم وعن معاصريهم المؤلفات الصغيرة والكبيرة في هذا الميدان [77] . فكذلك كان أول مؤرخ أندلسي كبير وهو أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت 344هـ) مؤرخاً وجغرافياً ، بل هو الذي وضع أساس هذين العلمين في الغرب الإسلامي [78] . ويُعدُّ أول من أدخل الجغرافيا الإقليمية إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر (300–350هـ) [79] .

وقد تناول معظم الجغرافيين المشرقيين ، مثل الاصطخري ، وابن خرداذبة، والمسعودي ، وابن حوقل وغيرهم جغرافية الأندلس في إشارات ونبذ قصيرة عند أحاديثهم عن الأقاليم السبعة ، ولعلَّ ذلك يرجع إلى ندرة المعلومات التي تحت أيديهم، في حين أن الجغرافيين الأندلسيين تناولوا جغرافية هذا الإقليم باستفاضة ، ولا

غروَ في ذلك ، فهم أهل البلاد ، وأعلم بمسالكها ودروبها ، لكن ضاعَ كثير من أصولهم المدونة ، ولم يبقَ منها إلاّ القليل ، وأكثره مبثوث في بطون الكتب الأندلسية التاريخية والأدبية . ويرجع الفضل في الاحتفاظ بنبذ قيّمة منها إلى المقري (ت1041هـ) ، فقد نقل إلينا في كتابه " نفح الطيب " نصوصاً عديدة في وصف جزيرة الأندلس وما اشتملت عليه من الخواص والفضائل وفي وصف قواعده الكبرى ، مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها . وكان من بين الذين نقل عنهم الرازي والحجاري وابن سعيد وابن غالب وابن النظام وغيرهم (80) .

إنَّ مدى تأثر الأندلسيين بالثقافة الشرقية في مجال الدراسات الجغرافية ، وهم في الوقت نفسه مؤرخون انتفعوا في وقت مبكر بنوعين من كتب المشارقة :

الأول: كتب التاريخ ، وخاصة كتب تاريخ المدن التي تبدأ بمقدمة طبوغرافية عن خطط المدينة ووصفها .

والثانية: كتب اللغة التي أشبه بالمعاجم اللغوية الصغيرة ، ويهتم أصحابها بتدوين المفردات اللغوية الخاصة بالنبات والجبال والمياه والحشرات والأنواء وغير ذلك من المعالم والظواهر الطبيعية في جزيرة العرب .

فهذه الأنواع كلها جمع منها الأندلسيون مادة ثرية انتفعوا بها في تأليف بعض البحوث في الجغرافية العامة والخاصة .

أما الكتب التي تمثل صلب الكتابات الجغرافية ويظهر فيها الاهتمام بالمدن ومواقعها وطرقها وآثارها ومسافاتها ... الخ وهي التي يطلق عليها " كتب المسالك والممالك " ، فقد رجحنا أنها لم تصل إلى الأندلس إلاّ بعد القرن الرابع على الأقل ، وأفاد الأندلسيون بمناهجها في إبراز الخصوصية الأندلسية للبيئة الجغرافية في الأندلس . وقد بلغ تأثرهم بكتب المسالك والممالك مداه عند الإدريسي (ت 560هـ) الذي اعتمد على عدد كبير من هذه الكتب في تأليف كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " (81) .

ونتحدث الآن عن أهم ما في التراث الأندلسي في هذا المجال ، ونبدأ بالمؤسس الأول للجغرافية الأندلسية :

أحمد بن محمد بن موسى الرازي القرطبي (ت 344هـ) :

صنف أبو بكر الرازي في جغرافية الأندلس كتابين [82] :

الأول: في " صفة قرطبة وخططها ومنازل العلماء (والأعيان) بها " . تأثر فيه بالمقدمة الجغرافية التي كتبها ابن أبي طيفور البغدادي لكتابه " أخبار بغداد " وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها [83] .

والثاني : يصفه ابن حزم بأنه " كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأُمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها ، وما فيه مما ليس في غيره ، وهو كتاب مريح مليح " [84] . ويعتقد البعض أن هذا الكتاب ما هو إلاّ مقدمة جغرافية لكتابه الكبير " أخبار ملوك الأندلس " [85] .

وهذه المؤلفات ضاعت ولم يبقَ منها إلاّ ما ذكره المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون الذين جاءوا من بعده ، وفي مقدمتهم المقري في " نفح الطيب " [86] ، فضلاً عن قطعة في صفة الأندلس وصلت إلينا مترجمة إلى اللغتين الإسبانية والبرتغالية القديمتين [87] .

أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق [88] (ت 363هـ) :

أول جغرافي أندلسي كتب في المغرب الإسلامي كتاباً بعنوان " مسالك إفريقية وممالكها " أبو عبد الله بن يوسف الوراق (ت 363هـ) صنفه للخليفة الأندلسي الحكم المستنصر ، وصنف له أيضاً كتاب في أخبار ملوك إفريقية وحروبهم والغالبين عليهم ، وكذلك ألّف أيضاً في أخبار تيهرت ووهران وتنيس وسجلماسة ونكور وبصرة المغرب وغيرها [89] .

وكتاب الوراق عن مسالك إفريقية استصفاه أبو عبيد البكري الأندلسي (ت487هـ) في كتابه " المسالك والممالك " . فقد اعتمد عليه اعتماداً تاماً في الجزء الذي كتبه عن إفريقية والمغرب [90] . " ويسند إليه ما يقتبسه منه أحياناً ، ولكنه لا يسند أحياناً أُخرى ، ولهذا لا نستطيع أن نتبين على وجه التحديد نصيب الوراق من

كتاب البكري خاصة وأن هذا الأخير لم يكن مجرد ناقل ، بل كان جغرافياً متصرفاً يعدل فيما ينقله ويزيد عليه وينقص منه " [91] .

إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي (من أهل القرن الرابع الهجري) :

يوجد في التراث الأندلسي أثر جغرافي ممتاز لأحد الرحالة اليهود الأندلسيين يدعى إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي ، عاش في القرن الرابع الهجري ، وكان يشتغل بتجارة الرقيق ، ولهذا كان يقوم برحلات إلى ألمانيا وبلاد الصقالبة وشمالي أوربا ، ويقال : " إنه كتب رسالة للحكم المستنصر عن رحلة قام بها إلى ألمانيا أيام الإمبراطور " أوتو Otto " وذلك في حدود عام 354هـ واحتفظ لنا البكري بجانب كبير من هذه الرسالة فيما يبقى لنا من أجزاء جغرافية [92] ، وقد سجل إبراهيم بن يعقوب في رسالته معلومات واسعة عن إمارات الصقالبة في أوربا الوسطى في ذلك العصر ، وحدثنا عن أربعة منها هي : بلغاريا وبولندا والتشيك وإمارة ناكون الأيدريتي "Nako of Abdorites" ، وأورد تفاصيل وافية عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندا وألمانيا [93] . وطريقته أن يذكر البلدان ويصفها ويعدد حاصلاتها وما يتاجر فيه أهلها ، ثم يذكر الطرق ومسافاتها بالأميال ، وكل ذلك بتفصيل واسع تتخلله معلومات مهمة عن الأحوال الاجتماعية والسياسية . وبهذا يكون كتابه أقرب إلى كتب البلدانيين والسالكين ، وقد اعتمد أبو عبيد البكري على ما كتبه إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي اعتماداً يكاد يكون تاماً فيما كتب عن وسط أوربا وشرقها والقطع التي أدرجها في مسالكه هي أطول ما بقى من كتابه وأدلة على طبيعة مادته الجغرافية [94] .

العذرى (ت 476هـ) :

وأبرز من كتب في المسالك والممالك من علماء الأندلس خلال القرن الخامس الهجري هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس الدلائي . نسبة إلى ولاية إحدى قرى المرية [95] . وهذا العالم . وإن كان في الأصل محدثاً وشيخاً من شيوخ عصره في علم الحديث . فإنه شارك ببعض المصنفات في التاريخ والجغرافيا ،

وذكر له ياقوت الحموي في كلامه عن المرية من معجم البلدان كتاباً بعنوان " نظام المرجان في المسالك والممالك " [96] . وهذا الكتاب لم يبقَ منه إلاّ قطعة تدلُّ على أنه كتاب جغرافية وتاريخ ، فإلى جانب المعلومات الجغرافية يورد العذرى تفاصيل تاريخية خاصة بالمواضع التي يصفها لا تخلو من فائدة لدارس الجغرافيا البشرية والاقتصادية والسياسية [97] .

وفي كلمة موجزة عن جهود العذرى في حقل الدراسات الجغرافية بالأندلس يقول الدكتور حسين مؤنس بعد تحليل دقيق للقطعة المذكورة " ... لقد سار العذرى بعلم الجغرافيا في الأندلس خطوة واسعة إلى الأمام فإذا كان الرازي قد وضع الأساس السليم الذي حدد مفهوم الجغرافية الطبيعية والبشرية في أذهان الناس ، فقد بدأ العذرى من حيث انتهى الرازي ، فحاول ن يضيف تفاصيل جديدة إلى وصف هيئة شبه الجزيرة " الإيبيرية " وتقسيمها الجغرافي العام ، وتوسع في الجغرافية البشرية ، فأطال الكلام عن كل كورة أو قسم إداري ، ولم يكتفِ بوصفه العام ومدنه الرئيسة ومنابع الثروة فيه ، بل فصّل الوصف تفصيلاً علمياً حافلاً بالمعلومات ... وإذا كان الوصف الدقيق لجغرافية الرازي هو أنها من طراز البلدان فقط ، فإن جغرافية العذرى ضمت البلدان والمسالك ، فهي تصف الطرق ، وتقدر المسافات وتعين المراحل والمحلات في دقة علمية جديرة بالتنويه .. ثم إن كلامه الدقيق عن مجاري المياه وعيونها وذكره الأنهار وفروعها والترع وما تسقيه يكشف لنا عن ناحية كبرى من نواحي الحضارة العربية في الأندلس : ناحية الري والسقيا والقنوات ، والمعلومات التي يقدمها العذرى في هذه الناحية تزيد في الدقة على ما يقدمه المقريزي (ت 845هـ) في خططه عن مصر ، وذلك فضل ينبغي أن تذكره لذلك الجغرافي الأندلسي الفريد " [98] .

أبو عبيد البكري (ت 487هـ) :

ويُعدُّ الوزير أبو عبيد : عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي نزيل قرطبة (ت 487هـ) أكبر جغرافيي أندلس ظهر في القرن الخامس الهجري ، بل هو "أكبر

جغرافي أنجبه الأندلس " كما يقول دوزي [99] . وقد اكتسب هذا اللقب نتيجة دراساته العميقة وخبرته الواسعة في هذا المجال ، وهو واحد من فحول العلماء الذين أطلعهم الأندلس خلال ذلك القرن كالعذرى (ت 476هـ) ، وابن حزم الظاهري (ت 456هـ) ، ابن حيان صاحب المقتبس (ت 469هـ) ، وابن بسام صاحب " الذخيرة " (ت 542هـ) وغيرهم من الموسوعيين . كان البكري [100] من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بالأنساب والأخبار وتعكس كتبه ثقافته الموسوعية التي تجاوزت العلوم الأدبية واللغوية إلى الطب والصيدلة والنبات والجغرافيا ، ومن آثاره في هذا المجال الأخير كتابان :

الكتاب الأول : " معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع " :

وهو معجم لغوي جغرافي يصف جزيرة العرب ومرتب على حروف الهجاء حسب ترتيبها عند الأندلسيين في عصره [101] ، يذكر فيه البكري . كما يقول في مقدمته . " جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار والقرى والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار" [102] . ويتألف الكتاب من سبعمائة وأربعة وثمانين باباً ، تضم خمسة آلاف مائتي موضع [103] . ويعدّهُ البعض معجماً لغوياً أكثر من كونه معجماً جغرافياً حيث إن الذي دفعه إلى تصنيفه شيوع التصحيف في أسماء المواضع بين الناس[104]. ولا نكاد نجد لهذا المعجم نظيراً في معاجم البلدان من حيث غزارة المادة وكثرة التفاصيل واكتمال العناصر ودقة المنهج وتمام الضبط وجمال الأسلوب وتحرير العبارة [105] . والذي يزيد من قيمة هذا الكتاب تلك المقدمة الطويلة التي يعين فيها البكري حدود جزيرة العرب وأقسامها " الحجاز وتهامة واليمن " ويتحدث فيها عن القبائل العربية التي نزلت هذه النواحي وما أصاب هذه المنازل من تغيير[106] .

والكتاب الثاني : المسالك والممالك : وهذا الكتاب يبدؤه البكري بمقدمة طويلة تتناول في معظمها موضوعات لا تدخل في صلب الجغرافيا غير أن بعض المباحث التي ترد في هذه المقدمة ذات قيمة جغرافية كحديثه عن جزيرة العرب وعرضه لصورة الكون والأرض في سهولة وتبسيط ، معتمداً على طائفة من الفلكيين

والرياضيين المشارقة كالخوارزمي والبتاني والرازي وغيرهم . وبعد هذه المقدمة يبدأ كلامه عن الممالك والمسالك ، فيتحدث عن كل مملكة بتفصيل فيصفها ويذكر حدودها وطرقها ومسافاتها ، ويأتي بشيء من تاريخها وعادات أهلها وخصائصهم[107] .

ويُعدُّ كتاب البكري أوسع ما ألف العرب في هذا الباب وأشمله على الإطلاق، إذ يتناول (في نسخته الكاملة) جغرافية الدنيا كلها على طريقة المسالك والممالك ، وقد بدأ بالهند ثم الصين ثم فارس والروم ، ثم ينتقل إلى بلاد الصقالبة والروس ، ويختم كلامه عن أوربا بالكلام على مملكة الجلالقة الذين كان لهم وقائع مع عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس (300–350هـ) . ويلي ذلك حديث عن جغرافية مصر وبلاد إفريقية والمغرب ، " والأجزاء الخاصة ببلاد العرب ومصر والمغرب تنفرد بميزة كبرى ، وهي أن البكري يقف عند كل موضع وقعت فيه حادثة تاريخية ويتحدث عنها بتفصيل ... ومن الطبيعي أن يكون الجزء الخاص ببلده الأندلس أحفل أجزاء الكتاب بالقيمة والفائدة ، وهو دون شك معتمد كل من كتب بعده في جغرافية المغرب والأندلس وخاصة الإدريسي (ت 560هـ) ، وابن سعيد (ت 685هـ) [108] .

إنَّ خلاصة ما انتهى إليه الدكتور حسين مؤنس ، في دراسته لكتاب مسالك البكري ، أن هذا الكتاب يعتبر قمة من قمم التأليف الجغرافي في هذا النوع عند المسلمين ، وأن البكري وصل بهذا الفن إلى درجة من الشمول والاتساع والدقة لم يصل إليها أحد قبله في الشرق أو الغرب ، واتصل على يده التأليف الجغرافي في الأندلس خطاً متكاملاً يخطو كل جيل من الجغرافيين به خطوة ، وسيستمر ذلك بعد البكري على أيدي من جاء بعده [109] كالحجاري(نسبة إلى وادي الحجارة)عبد الله ابن إبراهيم (المتوفى حدود 550هـ) في كتابه " المسهب في فضائل " أو غرائب المغرب " [110] ، الذي أضاف فيه تفصيلات كثيرة عن جغرافية الأندلس لا توجد عند سابقيه . وكالشريف الإدريسي أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس (المتوفى في حدود 560هـ) في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " .

الشريف الإدريسي (ت 560هـ) :

يطول المقام إذا تحدثنا عن منهج الإدريسي وطريقة عمله في كتابه " نزهة المشتاق " إذ ليس بين الجغرافيين العرب والمسلمين سواء من المشارقة أم الأندلسيين ، من طارت شهرته مثله ، ولم يظفر واحد منهم بجزء عما ظفر به من دراسات [111] . وجملة ما انتهى إليه الباحثون عرب ومستشرقون إنَّ هذا العالم يُعدُّ بحق أول جغرافي متخصص في هذا العلم في التاريخ وأخرج فيه ما لم يخرجه عالم قبله ، ورفعه إلى مصاف العلوم الميدانية منهجاً وموضوعاً وتناولاً واستيعاباً، وأصبح يمثل القمة التي وصل إليها علم الجغرافية من ميلادها إلى أوائل القرن السابع الهجري ، ومن ناحية أُخرى يُعدُّ نقطة البداية للعلم الجغرافي الحديث [112].

ومن أهم ما أنجزه الإدريسي ويذكر له بالإعجاب في مجال الجغرافيا :
الإصلاح الذي أدخله على خريطة العالم وجعلها تقترب من وصفها العلمي ، إضافة إلى إعداده سبعين خريطة للمناطق الداخلة في تقسيمه للأقاليم السبعة ، وأدخلها في كتابه " نزهة المشتاق " وهذه الخرائط تفوق في دقتها خرائط العالم اليوناني بطليموس ، ومنها استخرج العلاّمة الألماني " ميللر " خريطة الإدريسي الجامعة[113] .

وقد جاء ارتباط كتاب الجغرافيا الذي وضعه الإدريسي بالخرائط تطوراً مهماً في علم الجغرافيا ، وبيان الصلة الوثيقة بين الجانب النظري والعلمي . ذلك أن نص المتن لا تتضح معالمه إلاّ بالرجوع إلى الخرائط التي وصفها الإدريسي ، وهذه الخرائط تمثل . إذا وصفت بعضها إلى جانب البعض . الدور النهائي لعلم رسم الخرائط عند العرب والشكل الأخير لما يمكن أن يسمى أطلس الإسلام [114]

الهوامش

1 حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص 590.

2 أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ص 110.

3 قدري حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، ص 68.

4 بهجة الأثري ، الجغرافيا عند المسلمين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثاني ، لعام 1952م.

5 ابن النديم ، الفهرست ، ص 72 ؛ القفطي ، إنباه الرواة ، ج1 ، ص 350.

6 ياقوت ، معجم الأدباء ، ج16 ، ص 71–72.

7 فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مج8 ، ج1 ، ص 95.

8 الحرات : مفردها (حرة) وهي الصخور السوداء البركانية التي تكثر في جهات جبلية من جزيرة العرب ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حرر) .

9 ابن النديم ، الفهرست ، ص 80 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص239.

10 –ابن النديم ، المصدر السابق ، ص 82؛ فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي، مج8 ، ج1 ، ص 125–126.

11 –حسين نصار ، المعجم العربي نشأته وتطوره ، ج1 ، ص 120–121.

12 –ابن النديم ، المصدر السابق ، ص 117؛ ياقوت ، معجم الأدباء ، ج 3، ص62–64؛ القفطي ، إنباه الرواة ، ج1 ، ص 291–293.

13 –ياقوت ، معجم الأدباء ، ج 3 ، ص 81–84 ؛ القفطي ، إنباه الرواة ، ج 3، ص 43؛ فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مج8، ص 299.

14 –محمد رضا الشبيبي ، أقدم مخطوط وصل إلينا عن بلاد العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الأول ، 1950م ، ص 39–45.

15 –ينظر: حسين نصار ، المعجم العربي نشأته وتطوره ، ج 1 ، ص 119–137؛ فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مج8 ، ج2 .
16 –ابن النديم ، الفهرست ، ص 142.
17 –ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 11.
18 –كرتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج1 ، ص 126–127.
19 –الإثنوجرافيا : كلمة معربة تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى مجتمع معين خلال مدة زمنية محددة وبصورة أُخرى وصف طبائع البلدان وخصال أهلها وأسلوب حياتهم . حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص 49–50.
20 –مروج الذهب ، ج1 ، ص 206.
21 –معجم البلدان ، ج6 ، ص 77.
22 –ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص 411، 438.
23 –رسائل الجاحظ ، ج4 .
24 –مروج الذهب ، ج 1 ، ص 206–207 ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج1 ، ص 129–130.
25 –عني بنشره وتصحيحه الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، دمشق ، 1932م.
26 –مقدمة التحقيق ، ص 3 ؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 241؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج1 ، ص 130.
27 –وليد عبد الله ، جغرافية الحضر . دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين في تطويرها ، ص 31.
28 –ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 6.
29 –سوف نتناول الجغرافيين العراقيين ومن خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين . أنموذجاً .
30 –الفهرست ، ص 214 ؛ معجم الأدباء ، ج7، ص 151.
31 –الفهرست ، ص 213 ؛ مروج الذهب ، ج1 ، ص 128.

32 –معجم الأدباء ، ج3 ، ص 98–102.

33 –نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 43–44.

34 –ابن النديم ، الفهرست ، ص 212–213 ؛ نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 44–45.

35 –كراتشوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج 2 ، ص 156–158؛ نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 45.

36 –ياقوت ، معجم الأدباء ، ج5 ، ص 153–154.

37 –ياسين إبراهيم الجعفري ، اليعقوبي المؤرخ الجغرافي ، ص 46.

38 –خالص الأشعب ، اليعقوبي ، ص 10.

39 –تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج1 ، ص 160.

40 –وليد عبد الله عبد العزيز ، جغرافية الحضر دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين في تطويرها ، ص 31.

41 –ينظر: خالص الأشعب ، اليعقوبي ، ص 10 ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب، ج1 ، ص 158–161؛ نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 45–47 ؛ عمر رضا كحالة ، التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية ، ص 228–249 ؛ آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج 2 ، ص 3.

42 –الفهرست ، ص 219.

43 –كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب العربي ، ج 1 ، ص 162–163؛ نفيس أحمد، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 48.

44 –م.ن ، ج1 ، ص 197 ، ص 205–206.

45 –ابن النديم ، الفهرست ، ص 98–199.

46 –الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص 58.

47 –م.ن ، ج6 ، ص 344.

48 –عمر رضا كحالة ، التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية ، ص 229.

49 –صبري فارس الهيتي ، الفكر الجغرافي ، ج8، ص 228.

50 –شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص 70.

51 –ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 284؛ كراتشكوفسكي ، المصدر السابق، ج1 ،ص 200–202؛ نفيس أحمد ، المصدر السابق ، ص 54.

52 –عمر رضا كحالة ، العالم الإسلامي ، ج2 ، ص 196.

53 –ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 10.

54 –راجع ، كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج 1 ، ص 187؛ نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 50–51؛ حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص 236.

55 –كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 186 ؛ عمر رضا كحالة ، التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ، ص 231، 252.

56 –المسعودي ، مروج الذهب ، ج1 ، ص 10–11.

57 –ابن النديم ، الفهرست ، ص 219–220 ؛ ياقوت ، معجم الأدباء ، ج 13، ص 90–94؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج 3، ص 456–457 ؛ ابن حجر ، لسان الميزان ، ج 4 ، ص 224–225؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج15 ، ص 569 .

58- George H. T.Kimble: Geography in The Middle Ages, New York, Russell, P. 35-54, 1968.

59 –ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تعليقات فؤاد سيد علي ، ص 37.

60 –كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ج1، ص 78، 80.

61 –م.ن ، ج1 ، ص 80.

62 –م.ن ، ج1 ، ص 100 ؛ عمر رضا كحالة ، المصدر السابق ، ص 222.

63 –أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ص 113.

64 –القفطي ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص 178.

65 –نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 159–160.

66 –جمال بدر ، مقال ، مجلة المجلة ، العدد 23 نوفمبر 1958م .
67 –ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج17، ص 180–190.
68 –صباح محمود محمد ، دراسات في التراث الجغرافي العربي ، ص 96؛ نفيس أحمد ، المصدر السابق ، ص 117–119؛ عمر رضا كحالة ، المصدر السابق ، ص 227 ؛ عدنان النقاش ، الجيولوجيا عند العرب، ص 39.
69 –نخبة من الباحثين ، موسوعة حضارة العراق ، ج8، ص 202.
70 –ابن النديم ، الفهرست ، ص 383؛ القفطي ، إخبار العلماء ، ص 187–188؛ صاعد الأندلسي ، طبقات الأُمم ، ص 14–15، ص 69/54.
71 –م.ن ، ج8، ص 203 ؛ نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 142–143.
72 – عمر رضا كحالة ، التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية ، ص 226–229، نفيس أحمد ، المصدر السابق ، ص 141؛ كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 197–198.
73 –المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص 6.
74 –م.ن ، ص 9.
75 –جمال بدر ، مقال منشور في ، مجلة المجلة ، العدد 23 نوفمبر ، 1958م.
76 – أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ، ص 114.
77 – ابن النديم ، الفهرست ، ص 142؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 11.
78 – حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص 1.
79 – عبد الرحمن حميدة ، إنجازات علماء الأندلس في ميدان الجغرافيا ، ص 3.
80 – المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 140–481،460.
81 –الإدريسي ، نزهة المشتاق ، المقدمة ، ج1 ، ص 5–6.
82 –المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص 173.
83 –الحميدي ، جذوة المقتبس ، ج 1 ، ص 168 ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص151؛ المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص 173.

84 –م.ن .

85 –حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، ص 58–59.

86 –ج1 ، ص 140، 460، 481.

87 –حسين مؤنس ، المصدر السابق ، ص 59؛ جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 197.

88 –أندلسي الأصل والفرع ، وآباؤه من وادي الحجارة ، نشأة بالقيروان وبها تعلم، وهاجر إلى قرطبة ، واتصل بالحكم المستنصر (350–366هـ) فقرّبهُ إليه وحثهُ على التأليف في جغرافية المغرب وتاريخهُ، ويلقب " بالتاريخي " لكثرة اشتغاله بالتأليف في هذا الفن ، وكانت وفاته بقرطبة . الحميدي ، جذوة المقتبس ، ج 1 ن ص 158 ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص 141؛ المقري ، نفح الطيب ، ج3، ص163.

89 –م.ن .

90 –البكري ، المسالك والممالك ، ص 4–5.

91 –حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص 75؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج1، ص 169.

92 –م.ن .

93 –كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 190.

94 –حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 74.

95 –ابن بشكوال ، الصلة ، ص 66–67.

96 –ج5 ، ص 119.

97 –الدكتور عبد العزيز الأهواني ، نصوص عن الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثالث عشر ، لسنة 1965م.

98 –حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 93–95.

99 –جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 310.

100 –ابن بشكوال ، الصلة ، ص 287–288؛ الفتح بن خاقان ، قلائد العقبان في محاسن الأعيان ، ص 191 ؛ ابن أبي أصيبعة ، عبون الأنباء ، ص 500؛ حاجي

خليفة ، كشف الظنون ، ج 4 ، ص 531؛ حسين مؤنس ، المصدر السابق ، ص 108–123.

101 –الترتيب الهجائي عند الأندلسيين هو : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي .

102 –معجم ما استعجم ، ج1 ن ص 1.

103 –م.ن ، ج1 ، ص 4.

104 –عبد الله يوسف الغنيم ، مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ، ص 133، 137، 139.

105 –مصطفى السقا ، مقدمة البكري لكتابه معجم ما استعجم ، ج1 ، ص 1–4.

106 –راجع معجم ما استعجم ، ج1 ، ص 5، 90.

107 –حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 132–136.

108 –م.ن ، ص 137.

109 –م.ن ، ص 148.

110 –المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 127.

111 –من أهم هذه الدراسات الجامعة كتاب " الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية " ويتناول فيه دراسة لتاريخ العلم الجغرافي عند العرب ، والثاني عن الإدريسي نفسه . وقد خصص الدكتور حسين مؤنس في كتابه الكبير " تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس " مائة وخمس عشرة صفحة ، ص 165–280 لدراسة الإدريسي وتحليل كتابه "نزهة المشتاق "

112 –حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 279.

113 –كحالة ، التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية ، ص 237 ؛ أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ، ص 120 ؛ نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ص 143.

114 –أحمد العدوي ، جغرافيو المغرب في العصور الوسطى ، بحث منشور بحولية كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، 1969م ، ص 95–96.

قائمة المصادر والمراجع

●أحمد العدوي ، جغرافيو المغرب في العصور الوسطى ، بحث منشور بحولية كلية دار العلوم ، القاهرة ، 1969م.

●أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1984م.

●آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد بن الهادي أبي ريدة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1967م.

●ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الدمشقي (ت 668هـ) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

●آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1955م.

●ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي (ت 578هـ) ، الصلة، دار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966م.

●البكري ، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ) ، المسالك والممالك، القطعة الخاصة بإفريقية والمغرب ، باريس ، 1911م.

●بهجة الأثري ، الجغرافيا عند المسلمين ، منشور مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثاني ، لسنة 1952م.

●الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت 469هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة ، مصر ، 1965م.

•حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت 1067هـ) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، بدون تاريخ .

• ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ)، لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1986م.

• حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة رقم 138، المجلس الأعلى للثقافة ، الكويت ، بدون تاريخ .

• حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1986م.

• حسين نصار ، المعجم العربي نشأته وتطوره ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م.

• الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن حميد الأزدي الأندلسي (ت488هـ) ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، مطبعة نهضة مصر ، 1983م.

• ابن حوقل ، أبو القاسم محمد حوقل النصيبي البغدادي (ت حدود 367هـ) ، صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979م.

• الجاحظ ، عمرو بن عثمان بن بحر البصري (ت 255هـ) ، رسائل الجاحظ، بعناية عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

• التبصر بالتجارة ، عني بنشره وتصحيحه حسن حسني عبد الوهاب التونسي، دمشق ، 1932م.

• ابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حبان الأندلسي (ت 377هـ) ، طبقات الأطباء والحكماء ، حققه فؤاد سيدر ، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1955م.

• جمال بدر ، مقال ، مجلة المجلة ، العدد الثالث والعشرون ، نوفمبر ، سنة 1958م .

• خالص الأشعب ، اليعقوبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988م.

- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ) ، وفيات الأعيان ، دار صادر ، بيروت ، 1968م.
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) ، سير أعلام النبلاء ، إشراف شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، 1982م.
- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1984م.
- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكاف (ت771هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1964م.
- شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، دار الملايين ، بيروت ، 1978م.
- صباح محمود محمد ، دراسات في التراث الجغرافي العربي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، 1981م.
- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الأندلسي (ت 599هـ) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1967م.
- عبد الله يوسف الغنيم ، مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ، مكتبة ذات السلاسل ، الكويت ، 1974م.
- عبد الرحمن حميدة ، إنجازات علماء الأندلس في مجال الجغرافيا ، ندوة الأندلس ، قرون من التقلبات والعطاءات المنعقدة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، 1993م.
- عبد العزيز الأهواني ، نصوص عن الأندلس ، مجلة صحيفة الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثالث عشر ، لسنة 1965م.
- عدنان النقاش ، الجيولوجيا عند العرب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، بدون تاريخ .
- عمر رضا كحالة ، الجغرافيا في العصور الإسلامية ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، 1972م.

- الفتح بن خاقان (ت 529هـ) ، قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، طبع بولاق ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإعلامية ، الرياض ، بدون تاريخ .
- قدوري حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، مكتبة مصر ، مصر ، 1979م.
- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت646هـ) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، دار الكتب المصرية ، مصر ، 1955م.

أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

- كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الثقافة بجامعة الدول العربية ، 1957م.
- محمد رضا الشبيبي ، أقدم مخطوط وصل إلينا عن بلاد العرب ، نشر مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الأول ، السنة الأولى، 1950م.
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986م.
- المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت 387هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دون تاريخ .
- المقري ، أحمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني (ت 1041هـ) ، نفح الطيب من غُصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988م.
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1968م.
- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم البغدادي (ت 385هـ) ، الفهرست ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1978م.
- نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ترجمة فتحي عثمان ، دار القلم، دمشق ، بدون تاريخ .

- وليد عبد الله عبد العزيز ، جغرافية الحضر دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين في تطويرها ، نشر مجلة حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية الحادية عشر ، الرسالة الخامسة والتسعون ، 1989م . 1990م .
- ياسين إبراهيم الجعفري ، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي ، طبع بغداد ، 1980م.
- ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ) ، معجم الأدباء ، دار المأمون ، مصر ، 1936م.